أسباب اختلاف المحدثين – الدراسات العليا / الدكتوراه

للعام الدراسي 2023-2024

المحاضرة الثانية : ((اختلاف المحدثين المتعلقة بعدالة الراوي وضبطه))

مدرس المادة : أ.د. مهند عبد الستار جميل

أسباب اختلال الضبط

اتفق العلماء على حُجية السنة النبوية وأنها المصدر الثاني للتشريع، وعلى وجوب الأخذ بكل ما ثبت صحته منها، لذا بذل العلماء من أجلها أعظم الجُهد، ووضَعوا القوانينَ التي تُحقق ضَبط الحديث، وتَكلَّموا في الرِّجال ليَتميَّزَ المقبُول من غيره، وبناءً على أن الخبر لا يُقبل إلا بعد معرفة سنده، فقد ظهر علم الجرح والتَّعديل، والكلام على الرُّواة، من ناحية عدالتهم وضبطِهم وكيفية تَحَمُّلهم وأدائهم، لذا فإن من أهم شروط قبول رواية الراوي هي ضبطه للرواية، فوجب معرفة المقصود بضبط الراوي، والتعرف على أسباب الخلل التي تطعن فيه ، مع بيان أنواع الأحاديث التي تنتج من هذا الخلل.

إن مفهوم الضبط عند المحدثين هو أن يكون الراوي متيقظًا غير مغفَّل حافظًا إن حدّث من حفظه، ضابطًا لكتابه من التَّبديل والتَّغيير، عالمًا بما يُحيل إليه المعنى.

وهو نوعان: **ضبط صدر**، وهو أن يثبت الراوي ما سمعه من شيخه متقنًا لذلك في حافظته بحيث أنه يتمكن عادة من استحضاره له متى شاء.

وضبط كتاب وهو صيانته من عدم إدخال أحد فيه ما ليس منه من حين السَّماع إلى الأداء.

أما أسباب اختلال الضبط عند الرواة فمن أبرزها:

1. غفلة الراوي: وهي غياب الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وهي مؤثرة في تصحيح السماع عند المحدثين.

2. اختلاط الراوي: والاختلاط تغير في الحفظ واختلال في الضبط يحدث للراوي لعدة أسباب منها: كبر سنه،

أو ذهاب بصره، أو احتراق كتبه، أو موت بعض أهله، أو سرقة بيته.

3. إدخال الورَّاق أحاديث ليست للمحدِّث: فبعض الورَّاقين لم يراعِ مهمته وللأسف مما جعله يدس أحاديث ليست للمحدث.

4. تلاعب الابن أو الجار في كتب المحدث: فقد يتلاعب بكتب المحدث بعض أقاربه أو جيرانه، فيدسُّوا بعض الأحاديث في كتبه.

5. اعتماد المحدث على حفظه دون كتابه: يعرف بعض الرواة بإتقانه إن حدث من كتابه لا من حفظه ولكن قد يتعرض أحدهم للتحديث من حفظه إما لضياع كتابه أو ابتعاده عنه.

6. عبث المُؤتَمَن بكتب المحدث: يلجأ بعض المحدثين إلى إيداع كتبه عند آمن يثقون به بسبب سفر المحدث أو الخوف على الكتاب من الضياع أو غيرها من الأسباب، ولكن وقع وللأسف في حالات نادرة تلاعب المؤتمن في كتاب المُحدِّث.

7. جمع الأسانيد من غير تمييز للمتن الواحد: يلجأ أحيانا بعض الرواة لجمع الشيوخ في إسناد واحد من دون تمييز ولا اتقان مما تسبب في اختلال الضبط لديه.

8. انشغال الراوي بعمله وبُعده عن الرواية: قد يبتعد الراوي أحيانًا عن الرواية لانشغاله بعمل ما كانشغاله بمهنة القضاء مثلا والتي تصرف صاحبها عن ممارسة الرواية والتحديث مما يؤدي إلى تشوش الذهن واختلال الضبط.

9. من ينام كثيرًا ولا يبالي بالسماع: كمن يعرف بالتساهل في السماع فيقع منه النوم كثيرًا مثلًا فإن هذا يخل بضبطه وترد روايته.

أنواع الأحاديث الناشئة عن الاختلال في الضبط:

ومنها:

1. **الحديث الحسن لذاته:** وهو هو ما اتَّصل سنده بنقل العدل الذي خفَّ ضَبطه، عن مثله إلى مُنتهاه، من غير شذوذ ولا علَّة.
2. **الحديث الشاذ:** وهو ما رواه المَقْبُولُ مُخالفاً لِمَن هو أولى منه.
3. **الحديث المقلوب:** وهو إبدال لفظٍ بآخر، في سند الحديث، أو متنه، بتقديمٍ، أو تأخيرٍ، ونحوه.

4. الحديث المُصحَّف: وهو تغيير الكلمة في الحديث إلى غير ما رواها الثِّقات، لفظاً أو معنى.

5. الحديث المُضطَّرب: وهو الحديث الذي يُروى من قِبَل راوٍ واحدٍ أو أكثر على أوجهٍ مختلفةٍ متساويةٍ، لا مُرجَّح بينها، ولا يُمكن الجمع.

6. الحديث المُدرج: "وهو ما أُدخل في متنه ما ليس منه بلا فصل.

<u>ومما سبق يمكننا الوصول إلى النتائج الآتية:</u>

1. يُعد شرط الضبط أحد أركان قبول الرواية، وقد اتخذ المحدثون منهجا دقيقا في نقد ضبط الراوي.
2. الضبط النوعان، ضبط صدر وذلك بإثبات ما سمعه الراوي واستحضاره متى شاء، وضبط كتاب وذلك بصونه عن تطرق الخلل إليه.
3. اختلال الضبط له عدة أسباب من أهمها: الغفلة، واختلاط الراوي، وسرقة كتبه، أو دفنها، وتلاعب الورَّاق والابن والجار في كتبه، والابتعاد عن الكتاب، وعبث المؤتمن بكتاب المحدِّث، وانشغال الراوي بعمله، وعدم المبالاة في السماع بكثرة النوم.
4. ينشأ عن الاختلال بالضبط أنواعًا من الحديث منها: الحسن، والشاذ، والمقلوب، والمصحَّف، والمضطَّرب، والمُعَلَّل، والمدرج.
5. مدار قبول الحديث عند المحدثين يقوم على أمرين وهما: العدالة لدى راوي الحديث وضبطه فإن اجتمعت هاتان الصفتان به قبلت روايته ما لم يكن به ما يخل بعدالته أو ضبطه

قال أبو عمرو بن الصلاح: "أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يروي. وتفصيله: أن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدث من حفظه، ضابطاً لكتابة إن حدَّث من كتابه. وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالماً بما يحيل المعاني."

<u>فروع اختلال العدالة</u>

<u>علل:</u>

أ – لا يقبل حديث الراوي الكافر يجب أن يكون وقت روايته للحديث مسلماً

ب– لا تقبل رواية الصبي والمجنون لأنهما لا مسؤولية عليهما، فقد يتعمد الصبي الكذب بهذا الاعتبار، أو يتساهل في ذلك، والمجنون أولى من الصبي لأنَّه من الأصل قد فقد شريطة الضبط.

ج – لا يقبل خبر الفاسق بارتكاب المعاصي والخروج عن طاعة الله تعالى وإن لم يظهر عليه الكذب، وكذلك من كان فسقه بسبب كذبه في حديث الناس وإن توقى الكذب في الحديث النبوي.

إلا إذا أقلع عن ذنبه وتاب توبة نصوحاً فإنه يقبل خبره وتعود عدالته؛ لقوله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا.{

أما من لم يقع في الكبيرة، ولا عُرف بالإصرار والاستهتار في الصغائر، فإنه يقبل حديثه، ويغتفر له ما قد يبدو من الهفوات، ويوهب نقصه لفضله.

د – ترفض رواية التائب من الكذب في الحديث: استثنى العلماء خبر التائب من الكذب متعمداً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنَّه لا يقبل خبره، وفي هذا يقول ابن الصلاح: " التائب من الكذب في حديث الناس وغيره من أسباب الفسق تقبل روايته، إلا التائب من الكذب متعمداً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا تقبل روايته أبداً وإن حسنت توبته على ما ذكر عن غير واحد من أهل العلم، منهم أحمد بن حنبل، وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري." ... والسبب في عدم قبوله الزجر والتغليظ، والمبالغة في الاحتياط للحديث.

هـ – خبر المبتدع:

المبتدع هو: من فسق لمخالفته عقيدة السنة، وتنقسم البدعة إلى قسمين: بدعة مكفرة، وبدعة غير مكفرة، أما المبتدع الذي يرمى ببدعة مكفرة فترد روايته قولاً واحداً، خلافا لمن شذ في ذلك. لكن ينبغي التثبت مما يرمى به، وألا تسرع بتكفيره.

أما المبتدع الذي لم يبلغ في بدعته حد الخروج عن الملة فقد قال فيه ابن الصلاح: "اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر في بدعته، فمنهم من ردَّ روايته مطلقا لأنَّه فاسق ببدعته.. ، ومنهم من قبل رواية المبتدع إذا لم يكن ممن يستحل الكذب في نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه، سواء كان داعية إلى بدعته أو لم يكن."

وقال قوم: تقبل روايته إذا لم يكن داعية إلى بدعته. وهذا مذهب الكثير أو الأكثر من العلماء.

وقال أبو حاتم بن حبان البستي من أئمة الحديث: الداعية إلى البدع لا يجوز الاحتجاج به عند أئمتنا قاطبة، لا أعلم بينهم فيه خلافا.

الترجيح : **وهذا المذهب الثالث أعدلها وأولاها. والأول بعيد مباعد للشائع عن أئمة الحديث، فإن كتبهم طافحة بالرواية عن المبتدعة غير الدعاة. وفي الصحيحين كثير من أحاديثهم في الشواهد والأصول"**

و – خبر من أخذ على الحديث أجرًا:

مضت سنة الصحابة والتابعين أن يرووا الحديث للناس احتساباً يبتغون الأجر عند الله، حتى شاع قولهم: "علم مجاناً كما علمت مجاناً" ثمَّ جاء بعض الرواة وخالفوا هذا العرف وصاروا يتقاضون من طلابهم أجراً لإسماعهم الحديث.

علل: **وقد أثار هذا التصرف استياء علماء الحديث ونقاده، واستنكروه؟**

- **لما في صنيعهم هذا من خرم المروءة**
- **ولما يخشى أن يجر أحدهم الحرص على الأجر إلى الوقوع في شبهة الكذب أو صريح الكذب لكي يرغب فيه! ! ...**

لكن الظروف المعيشية الضيقة ألجأت بعض حفاظ الحديث الثقات لأخذ الأجرة كما أنَّ اشتغالهم بالعلم ونشره منعهم عن الكسب لعيالهم، فاغتفر لهم النقاد ذلك لما علم من صدقهم وأمانتهم مثل أبي نعيم الفضل بن دكين، وعبد العزيز المكي وهما من شيوخ البخاري.

قال أبو نعيم: "يلومونني على الأجر وفي بيتي ثلاثة عشر، وما في بيتي رغيف" .

وفيما عدا تلك القلة التي تقاضت الأجر على الحديث جرى سائر المحدثين على رفض الأجرة وضربوا لذلك أمثلة عالية جدا.

قال جعفر بن يحيى البرمكي: "ما رأينا في القراء مثل عيسى بن يونس عرضت عليه مائة ألف فقال: لا والله، لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنة ثمنا." ...

أسباب الطعن في الراوي

قال الحافظ –رحمه الله تعالى" :–ثم الطعن: إما إن يكون لكذب الراوي، أو تهمته بذلك أو فحش غلطه، أو غفلته، أو فسقه، أو وهمه، أو مخالفته، أو جهالته، أو بدعته، أو سوء حفظه."

س/ كيف يتسرب الطعن في الراوي؟

أولاً :كيف ينفذ الضعف إلى الحديث؟ عرفنا أن الحديث إنما يضعف بسبب السقط من الإسناد أو ضعف في راويه، بسبب السقط من الإسناد وهذا كله تقدم بأنواعه الستة الظاهرة والخفية، وأما الطعن في الراوي وهو المسلك الثاني من مسالك الضعف إلى الخبر، وينقسم هذا إلى قسمين رئيسين، وتحت كل قسم خمسة أنواع:

القسم الأول :ما كان سببه الخلل في العدالة،

والثاني :ما كان سببه اختلال الحفظ، القسم الأول :ما كان سببه الخلل في العدالة وينشأ عنه خمسة طعون من الطعون العشرة المذكورة الآن، والثاني :الخلل في الحفظ والضبط ويدخل فيه خمسة من الطعون المذكورة العشرة.

فما يتعلق بالعدالة من العشرة التي بين أيديكم الآن التي قرأها :الكذب يرجع إلى العدالة، **التهمة بالكذب إلى العدالة، الفسق إلى العدالة، الجهالة إلى العدالة، والبدعة ترجع إلى العدالة**، هذه الخمسة ترجع إلى العدالة، الخمسة الباقية :**فحش الغلط، والغفلة، والوهم، ومخالفة الثقات، وسوء الحفظ، كلها ترجع إلى الخلل في الحفظ والضبط.**

الحافظ ما ميز وفصل هذا عن هذا، لماذا؟ ها؟ الحافظ بدأ بالطعون العشرة غير مميز لها وفاصل لما يتعلق بالعدالة وما يتعلق بالضبط، بادئاً بالأشد ثم الذي يليه على سبيل التدلي،

س/ رتب الطعون التي تلحق الراوي من الاعلى الى الادنى؟

أعظم ما يرمى به الراوي من الطعون **الكذب**، ثم الذي يليه **التهمة بالكذب**، ثم يليه **فحش الغلط**، ثم **الغفلة**، ثم **الفسق**، ثم **الوهم**، ثم **مخالفة الثقات**، ثم **الجهالة**، ثم **البدعة**، ثم **سوء الحفظ**، فرتبها ترتيباً متدلياً من الأعلى إلى الأدنى.

فبعد أن أنهى الحافظ –رحمه الله تعالى– المسلك الأول من مسالك الضعف إلى الحديث وهو السقط من الإسناد بأنواعه الظاهرة والخفية شرع –رحمه الله تعالى– ببيان المسلك الثاني وهو الطعن في الراوي.

والطعن مصدر طعن يطعن طعناً وطعناناً ثلب بالقول السيئ، وفلان طعان :أي وقاع في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما، ومنه الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي بلفظ)) :ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان، ولا الفاحش البذيء ((والمراد بالطعن هنا: جرح الراوي باللسان، والتكلم فيه من ناحية عدالته ودينه، ومن ناحية ضبطه وحفظه وتيقظه، هذا المراد بالطعن هنا، هل المراد بالطعن هنا الطعن بالسهام؟ نعم، لا، إنما الطعن

هنا المراد به جرح الراوي باللسان لا بالسهام والسنان، وإن كانت حقيقة الطعن هي ما كان في جسده بالسنان، لكن المراد بالطعن هنا جرح الراوي باللسان والتكلم فيه من ناحية عدالته ودينه، ومن ناحية ضبطه وحفظه وتيقظه، والكلام في الرواة تجريح الرواة وتضعيفهم ليس من الغيبة المحرمة، بل هو أمر جائز بإجماع أهل العلم، فيما نقله النووي في رياض الصالحين وغيره قد أوجبه بعضهم، أوجبه بعض العلماء للحاجة إليه، ولا شك أنه مما لا يتم الواجب إلا به إذاً هو واجب، إذ به يعرف صحيح الحديث من ضعيفه، وإذا فتح الباب في هذا المجال من أجل حفظ السنة، فإن هذا لا يعني إطلاق عنان اللسان بجرح الرجال من غير حاجة، فإنما ذلك إنما جوز للضرورة الشرعية، ولهذا حكم العلماء بأنه لا يجوز الجرح بما فوق الحاجة، يقول السخاوي" :لا يجوز التجريح بشيئين إذا حصل المقصود بواحد"، إذا عرف ذلك فليس لكل شخص أن يجرح ويعدل، بل لا بد من توافر شروط اشترطها العلماء في الناقد للرجال والمتكلم فيهم، كالعلم والتقوى والورع والصدق، والتجنب عن التعصب، ومعرفة أسباب الجرح والتزكية، وسيأتي الكلام بالتفصيل عن هذه المسألة عند ذكر الحافظ –رحمه الله تعالى– لمبحث الجرح والتعديل.

وقد تقدم تعريف العدالة والضبط عند الكلام على الحديث الصحيح،

وأوجه الطعن المتعلقة بانتفاء العدالة خمسة هي:

:الكذب، التهمة بالكذب، الفسق، البدعة، الجهالة،

وأوجه الطعن المتعلقة بانتفاء الضبط خمسة :

فحش الغلط، والغفلة، ومخالفة الثقات، الوهم، سوء الحفظ، لكن الحافظ –رحمه الله تعالى– لم يعتنِ بتمييز أحد القسمين على الآخر لمصلحة اقتضت ذلك وهي ترتيبها على الأشد فالأشد، في موجب الرد على سبيل التدلي من الأعلى إلى الأدنى فيها.

1] الكذب[:

فالوجه الأول من أوجه الطعن في الراوي :الكذب: والكذب نقيض الصدق، يقال :كذب يكذب كَذِباً وكِذْباً، وكِذبة، وكَذبة، وكذاباً وكِذابا.

وفي الاصطلاح :هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو في الواقع عمداً كان أو سهواً، يعني إذا قلت كلام لا يطابق الواقع، إذا قلت :جاء زيد وهو لم يحضر فقد كذبت، سواءً قصدت الكذب أو لم تقصد الكذب، ولا واسطة بين الصدق والكذب عند أهل السنة خلافاً للمعتزلة، فلا يشترط لتسمية الكلام كذباً كونه صدر من

قائله عمداً، بل مجرد الإخبار على خلاف الواقع يسمى كذاباً، بدليل قوله –صلى الله عليه وسلم)) :–من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ((ووجه الاستدلال من الحديث حيث قيد الكذب بالتعمد، فدل على أن هناك كذباً آخر إلا أنه لا وعيد فيه، وهو السهو والغلط، يسمى كذب لكنه لا يستحق هذه العقوبة، خلافاً للمعتزلة الذين يرون اشتراط العمدية لتسمية الكلام كذباً، ولذا يثبتون واسطة بين الصدق والكذب وهي كلام ليس بصدق ولا كذب، وأجمع من يعتد به من المسلمين على تحريم الكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، والحكم بأنه من كبائر الذنوب لما تواتر عنه –صلى الله عليه وسلم –من قوله)) :من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ((هذا متواتر لفظه ومعناه كما تقدم، وهذا الوعيد الشديد يدل على أن الكذب على النبي –عليه الصلاة والسلام– كبيرة من الكبائر، موبقة من الموبقات، بل نقل أبو المعالي الجويني عن أبيه تكفير من يضع الحديث، يقول" :الذي يكذب على النبي –عليه الصلاة والسلام– متعمد يكفر "هذا قاله والد إمام الحرمين، لكن أبا المعالي ضعف هذا القول، وقال :إنه لم يره لأحد من الأصحاب، وأنه هفوة عظيمة.

ونقل الذهبي عن ابن الجوزي قوله" :ولا ريب أن الكذب على الله وعلى رسوله في تحليل حرام أو تحريم حلال كفر محض، وإنما الشأن في الكذب عليه فيما سوى ذلك"، هذا حكم الكذب، والراجح فيه قول الجمهور أنه كبيرة من الكبائر لكن لا يكفر، ولا عبرة بما ذهب إليه محمد بن كرام السجستاني شيخ الكرامية من إباحة وضع الأحاديث، يجيزون وضع الأحاديث والكذب على النبي –عليه الصلاة والسلام– للترغيب في الطاعة والتنفير من المعصية دون ما يتعلق به حكم من أحكام الشريعة، مؤولين حديث)) :من كذب علي ((بقولهم: إنا نكذب له ولا نكذب عليه، والوعيد يقول)) :من كذب علي ((ويقولون: نحن نكذب له ما نكذب عليه، إيش معنى نكذب له؟ نروج كلامه، نروج دينه على الناس، بهذا الكذب، فنحن نكذب له ما نكذب عليه، لا شك أن هذا القول سخيف ومتهافت وهو أقل من أن يرد عليه، والبرهان القاطع على خلافه أظهر وأشهر، والدين كامل ليس بحاجة إلى ترويج، ليس بحاجة إلى ترويج، الدين لو سلم من الصد عنه ما احتاج ولا إلى دعوة، لكن المشكلة أن الصد عن دين الله موجود بين المسلمين، من المسلمين من يصد الناس عن دين الله بأفعاله وتصرفاته، وكونه قدوة سيئة يشوه الإسلام، والله المستعان.

رواية الكاذب

رواية الكاذب :من كذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عمداً في حديث واحد حكم عليه بالفسق وردت رواياته كلها، وبطل الاحتجاج بها جميعاً، وأما توبة الكاذب فمن تاب عن الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –اختلف العلماء في قبول روايته على قولين:

القول الأول :ذهب الإمام أحمد وأبو بكر الحميدي شيخ البخاري، وأبو بكر الصيرفي إلى أن توبته لا تؤثر في ذلك، ولا تقبل روايته أبداً، بل يحتم جرحه دائماً؛ يعني من كذب على النبي –عليه الصلاة والسلام– ولو مرة واحدة فإنه خلاص يلغى من الوجود في باب الرواية، لكن إن حسنت توبته، تاب توبة نصوحاً بشروطها تقبل توبته عند الله –سبحانه وتعالى–، لكن الرواية يحتم جرحه دائماً.

القول الثاني :يرى آخرون أن توبته صحيحة وروايته مقبولة، إذا صحت توبته، وهذا القول رجحه النووي وقال :إنه الجاري على قواعد الشرع وقاسه على رواية الكافر إذا أسلم، يقول :هذا الذي كذب على النبي – عليه الصلاة والسلام– أشد ما قيل فيه أنه يكفر، والكافر إذا أسلم قبلت روايته، وهذا من باب أولى، وضعف الرأي الأول، ولا شك أن الرأي الأول فيه تشديد النكير على من كذب على النبي –عليه الصلاة والسلام– وفيه احتياط للسنة؛ لأن هذا الكاذب لا يؤمن أن يكذب في توبته.

2]التهمة بالكذب[:

الوجه الثاني من أوجه الطعن في الراوي :التهمة بالكذب.

والتهمة في اللغة :الظن، أصلها الوهمة، تاؤه مبدلة من واو، كما أبدلت في تخمة، يقال :أوهمته واتهمته إذا أدخلت عليه التُهَمة كهمزة ورطبة، والسكون لغة، أصله تُهَمة كهُمزة ولُمزة، وقد تسكن فيقال تهْمة، واتهمته شككت في صدقه.

واصطلاحاً عرفه الحافظ ابن حجر في النزهة، عرف الحافظ ابن حجر في النزهة تهمة الراوي بالكذب : بألا يروى ذلك الحديث إلا من جهته، ويكون مخالفاً للقواعد المعلومة، وكذا من عرف بالكذب في كلامه العادي، وإن لم يظهر منه وقوع ذلك في الكلام النبوي.

الكذاب في علوم الحديث هو الذي يكذب على النبي –عليه الصلاة والسلام–، والمتهم بالكذب هو الذي يكذب في حديثه العادي مع الناس، لكنه لا يكذب على النبي –عليه الصلاة والسلام– مثل هذا يتهم بالكذب على النبي –عليه الصلاة والسلام–؛ لأنه جرب عليه الكذب في حديثه مع الناس، ومثله لو روى حديث لا يعرف

إلا من جهته، ويكون هذا الحديث مخالف للقواعد المعلومة، ومن هذا نعرف أسباب اتهام الراوي بالكذب، ألا يروى ذلك الحديث إلا من جهته، ويكون الحديث مخالف للقواعد المعلومة حينئذٍ نتهم هذا الراوي.

أن يعرف الراوي بالكذب في كلامه العادي لكن لم يظهر منه كذب في الحديث النبوي، ومتى اتهم الراوي بالكذب ترك حديثه.

قال الإمام مالك بن أنس" :لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك، لا يؤخذ من صاحب هوىً يدعو الناس إلى هواه، ولا من سفيه معلن بالسفه، ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس، وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به."

3]فحش الغلط[:

الوجه الثالث من أوجه الطعن في الراوي :فحش الغلط، سيأتي الحافظ على هذه الأوجه العشرة بالتفصيل وماذا يسمى حديث الكذاب؟ ماذا يسمى حديث المتهم بالكذب؟ بم يسمى حديث من فحش غلطه؟ سيأتي عليها بالترتيب المذكور هنا؛ لأنه كما ذكرنا الحافظ رتب كتابه على طريقة اللف والنشر.

الوجه الثالث من أوجه الطعن في الراوي :فحش الغلط، يقال :غط في منطقه غلطاً أخطأ وجه الصواب، وغلطته أنا قلتُ له :غلطت أو نسبته إلى الغلط، وأغلطته إغلاطاً أوقعته في الغلط، ويجمع على أغلاط، ورجل غلطان كسكران، وكتاب مغلوط قد غلط فيه، وفحش الغلط كثرته، وكل شيء جاوز حده فهو فاحش، يعني كون الإنسان يغلط الغلط والغلطتين والثالث هذا يسمى فاحش الغلط؟ لا، من يعرو من الغلط من السهو من النسيان من سبق اللسان، ما في أحد يسلم من ذلك، لكن إذا كثر في كلامه وفحش غلطه صار وجه من أوجه الطعن.

فحش الغلط كثرته، وكل شيء جاوز حده فهو فاحش، وذلك بأن يكون غلط الراوي أكثر من صوابه أو يتساويان، أما إذا كان الغلط قليلاً فإنه لا يؤثر إذ لا يخلو الإنسان من الغلط والنسيان.

روى الخطيب البغدادي بسنده عن سفيان الثوري أنه قال" :ليس يكاد يفلت من الغلط أحد، إذا كان الغالب على الرجل الحفظ فهو حافظ وإن غلط، وإن كان الغالب عليه الغلط ترك"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى" :–وأما الغلط فلا يسلم منه أكثر الناس، بل في الصحابة من قد يغلط أحياناً وفيمن بعدهم"،

وإذا كثر غلط الراوي ترك حديثه، روى الخطيب البغدادي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان لا يترك حديث رجل إلا رجل متهم بالكذب أو رجلاً الغالب عليه الغلط.

4 الغفلة:

الوجه الرابع من أوجه الطعن في الراوي :الغفلة، يقال :غفل الرجل عن الشيء يغفل غفولاً فهو غافل، ورجل مغفل لا فطنة له، وغفلت الشيء تغفيلاً إذا كتمته وسترته، وتغفلته عن كذا تخدعته عنه على غفلة منه، وفلان غفل لم تسمه التجارب، غفل، كثير ما يقولون :أن فلان غفل، نعم، إيش معنى غفل؟ لم تسمه التجارب، يعني ما استفاد من التجارب في الحياة، يقع في هذا الأمر ثم يقع فيه ثانية ثم ثالثة، ما يستفيد من تجارب الحياة، والاسم الغفلة والغفل والغفلان، والغُفل بالضم من لا يرجى خيره ولا يخشى شره، يعني إذا قالوا :فلان غفل، هذا موجود، ما هو مستعمل عندكم؟ ما يقولون :فلان غفل؟ مغفل وغفل، نعم، معناه لا يرجى خيره ولا يخشى شره.

واصطلاحاً :غيبة الشيء عن بال الإنسان، غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، كذا في المصباح، وعرفه الفيروز آبادي في البصائر :بأنه سهو يتعري عن قلة التحفظ والتيقظ، ولا بد من تقييد الغفلة بالكثرة، لأن مجرد الغفلة ليست سبباً للطعن لقلة من يعافيه الله منها، غالب الناس فيهم غفلة، لكن إذا كثرت هذه الغفلة لا بد أنها تجرح الراوي، وإن لم يؤاخذ عليها، لا يعني أنه راوٍ مجروح بمعنى أنه آثم، لا.

للسهو والغفلة سبعة أسباب هي:

الاشتغال عن هذا الشأن بغيره، ككثير من أهل الزهد والعبادة، كثير من الناس ينصرف عن طلب الحديث فإذا روى حديثاً أخطأ فيه، الخلو عن معرفة هذا الشأن من الأصل ما يعرف الحديث، تكون بضاعة في الحديث مزجاة،

الأول هو في الأصل من أهل الحديث لكنه انشغل عنه،

الثاني في الأصل ليس من أهل الحديث، الخلو عن معرفة هذا الشأن، ولذا تجدون الأخطاء الكثيرة في الأحاديث التي يسوقها الغزالي في الإحياء لماذا؟ لأنه ليس من أهل هذا الشأن، بل بضاعته كما قال عن نفسه في الحديث مزجاة،

الثالث التحديث من الحفظ، الذي يعتمد على الحفظ وحافظته أقل لا شك أن الحفظ يخونه، وليس كل أحد يضبط ما حفظ.

الرابع :أن يُدخَل في حديثه ما ليس منه ويزوَّر عليه، يبتلى بعض الناس بولد سيء يزور عليه بعض الأحاديث ويلحق في كتابه ما ليس منه،

الخامس: أن يركن إلى الطلبة، يركن الشيخ إلى الطلبة، فيحدث بما يظن أنه من حديثه، يقبل كلام الطلبة يقولون :روينا عنك هذا الحديث الفلاني فيصدقهم فيحدث به، وهذا لا شك أنه غفلة.

السادس :الإرسال، وربما كان الراوي له غير مرضي.

السابع :التحديث من كتاب لإمكان اختلافه، قال :فلهذه الأسباب وغيرها اشترط أن يكون الراوي حافظاً ضابطاً، معه من الشرائط ما يُؤمَن معه كذبُه من حيث لا يشعر، وذكر الخطيب عن الحميدي ضابطاً للغفلة التي يرد بها حديث العدل، فقال :أن يكون في كتابه غلط فيقال له في ذلك فيترك ما في كتابه، يحدث من كتابه فيقال له :الذي في كتابك غلط، ثم يترك هذا الغلط ويحدث من غيره، يحدث ما يصوب له، هذه غفلة، أن يكون في كتابه غلط فيقال له في ذلك فيترك ما في كتابه، ويحدث بما قالوا، أو يغير يأتي بالقلم ويصحح على كلام الناس، في كتابه بقولهم، لا يعقل فرق ما بين ذلك، يعني ما يتأكد ولا يتثبت.

وحديث المغفل مردود روى الخطيب البغدادي عن ابن عباس –رضي الله عنهما –أنه قال" :لا يكتب عن الشيخ المغفل"، والله أعلم.

يقول :نريد توجيهاً لدعاة تجديد علم الحديث وأصول الفقه، يقول :حتى قال قائل منهم: إذا كان لراوي الحديث –أي الصحابي– مصلحة من رواية الحديث فالحديث ضعيف عندهم؟ مع المثال؟

لعل من أبرز ما يمثل به في هذا الكلام حديث أبي هريرة في الترخيص في اقتناء الكلب للحاجة،)) إلا كلب صيد ((قال أبو هريرة" :أو زرع "قال ابن عمر" :وكان صاحب زرع "يعني أبا هريرة، وهل معنى هذا أن ابن عمر يتهم أبا هريرة في هذه اللفظة؛ لأنه صاحب زرع ومحتاج إلى مثل هذا الكلب؟ نقول :لا، ابن عمر يشيد بأبي هريرة، ويذكر أنه ضبط الحديث وأتقنه؛ لأن له به حاجة، ومن كانت له حاجة بأمر من الأمور فإنه يضبطه ويتقنه أكثر من غيره، وليس معنى هذا أنه يتهم أبا هريرة بأنه يزيد في الخبر من أجل مصلحته حاشا وكلا.

5]الفسق[:

الوجه الخامس من أوجه الطعن في الراوي وهو الفسق :والفسق في لغة العرب الخروج، تقول :فسقت الرطبة من قشرها لخروجها منه، والفويسقة الفأرة لخروجها من جحرها على الناس لأجل المضرة، يقال :فسق يفسق فسقاً بالكسر وفسوقاً فجر وخرج عن الحق، ورجل فُسَق وفسيق دائم الفسق.

والفسق في الشرع :الخروج عن طاعة الله –عز وجل–، فالكافر فاسق لخروجه عما ألزمه العقل واقتضته الفطرة السليمة، قال الله تعالى} :وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)] {٥٥ (سورة النور]، وقال –جل وعلا} :–أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ)] {١٨ (سورة السجدة] فقابل الإيمان به والعاصي بما دون الكفر يقال له: فاسق، قال تعالى في شأن القاذف} :وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)] {٤ (سورة النور] والمراد بالفاسق هنا المتلبس بمعصية دون الكفر؛ لأن الكلام في الراوي المسلم، واختلف الفسق الذي يتلبس به الفاسق إلى قسمين فالفساق نوعان:

فساق بالتأويل :يعني هناك الفاسق المتأول، وهم طوائف المبتدعة، وهذا القسم سيأتي الكلام عليه قريباً –إن شاء الله تعالى–، والفاسق غير المتأول، وهو المراد هنا المخل بشيء من أحكام الشرع من ترك واجب، أو ارتكاب محرم، وهذا القسم قد اتفق العلماء على عدم قبول روايته؛ لأن الرواية عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أمانة ودين، والفسق يبطلها، لاحتمال كذب الفاسق على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، قال ابن العربي" :من ثبت فسقه بطل قوله في الأخبار إجماعاً؛ لأن الخبر أمانة، والفسق قرينة تبطلها"، وقال الشنقيطي –رحمه الله تعالى –في تفسير قوله تعالى} :يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا)] {٦ (سورة الحجرات] هذه الآية تدل على عدم تصديق الفاسق في خبره، وصرح تعالى في موضع آخر بالنهي عن قبول شهادة الفاسق، وذلك في قوله تعالى} :وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)] {٤ (سورة النور] ولا خلاف بين العلماء في رد شهادة الفاسق وعدم قبول خبره، وقال ابن حبان في المجروحين" :ومنهم –يعني الضعفاء– المعلن بالفسق والسفه وإن كان صدوقاً في روايته؛ لأن الفاسق لا يكون عدلاً والعدل لا يكون مجروحاً، ومن خرج عن حد العدالة لا يعتمد على صدقه، وإن صدق في شيء بعينه في حاله من الأحوال إلا أن يظهر عليه ضد الجرح حتى يكون أكثر أحواله طاعة الله –عز وجل–، فحينئذٍ يحتج بخبره، فأما قبل ظهور ذلك عنه فلا."

6]الوهم[:

الوجه السادس :وما زلنا في اللف الذي ذكره الحافظ، حيث لف الأنواع العشرة، ثم ينشرها بعد ذلك بذكر أنواع علوم الحديث التي تتبع هذه الوجوه، الوجه السادس من أوجه الطعن في الراوي :الوهم، يقال :وهم بكسر الهاء غلط، وقد توهم الشيء تخيله وتمثله، سواءً كان في الوجود أو لم يكن، ويقال :وهم إليه يهم وهماً ووهماً ذهب وهمه إليه، والوهم من خطرات القلب والجمع أوهام، ويقال :وهمت في كذا وكذا فأنا أوهم وهماً إذا سهوت.

اصطلاحاً :هو رواية الحديث على سبيل التوهم، أي بناءً على الطرف المرجوح المقابل للظن، وبيان ذلك أن المعلوم إما أن يستقر في الذهن من غير تردد أو بتردد، فالأول يسمى العلم وسبق الكلام عليه، الثاني :إما أن يكون راجحاً أو مرجوحاً أو مساوياً. فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم والمساوي هو الشك.

والوهم عند الحكماء قوة جسمانية للإنسان محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، قوى جسمانية يقول :محلها آخر التجويف الأوسط من الدماغ من شأنها إدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات، هذه قوة غير العقل تدرك، قوة مدركة، ولذا توجد في الحيوانات، هذه القوة هي التي تحكم في الحيوان بأن الذئب مهروب منه، وأن الولد معطوف عليه، غير العقل، ولذا تجد بعض الحيوانات أو سائر الحيوانات فيها هذه القوة، تهرب مما يضرها، وتعطف على الولد، وتطلب ما ينفعها، وهي أيضاً موجودة حتى في المجانين الذين لا عقول لهم من بني آدم، هذه موجودة هذه القوة المدركة

فإذا كان الوهم هو الغالب على رواية الراوي ترك حديثه، أما الوهم اليسير فإنه لا يضر ولا يخلو عنه أحد، قال ابن المهدي :الناس ثلاثة: رجل حافظ متقن فهذا لا يختلف فيه، وآخر يهم والغالب على حديثه الصحة فهذا لا يترك حديثه، وآخر يهم والغالب على حديثه الوهم فهذا يترك حديثه."

7]مخالفة الثقات[:

الوجه السابع من أوجه الطعن في الراوي مخالفة الثقات :والثقات جمع ثقة، والثقة مصدر قولك وثقت به فأنا أثق به ثقة وأنا واثق به، وهو موثوق به، وهي موثوق بها، وهم موثوق بهم، ويقال :فلان ثقة، وهي ثقة، وهم ثقة، وقد تجمع فيقال :ثقات في جماعة الرجال والنساء، وثق به ثقة ووثوقاً ائتمنه، ووثقت فلاناً إذا قلت أنه ثقة فهو موثوق.

والثقة في الاصطلاح :من جمع بين صفتي العدالة والضبط وسبق الكلام عليهما، فمن خالف الثقات لا شك أنه ليس بثقة؛ لأن موافقة الثقات هي المقياس لمعرفة ضبط الراوي.

ومن يوافق غالباً بالضبطِ ... فضابط أو نادراً فمخطِ

لمعرفة ضبط الراوي لا شك المقياس موافقة الثقات، والذي يخالفهم يحكم عليه بعدم الثقة والضبط، يقول ابن الصلاح" :يعرف كون الراوي ضابطاً بأن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعرفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته موافقة –ولو من حيث المعنى– لروايتهم، أو موافقة لها في الأغلب والمخالفة نادرة عرفنا حينئذٍ كونه ضابط ثبتاً، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه، وهذه المخالفة على ما تقدم تفصيله إن كانت من ثقة فحديثه شاذ، وإن كانت من ضعيف فحديثه يسمى المنكر، وتقدم شرح ذلك عند قول الحافظ" :فإن خولف بأرجح فالراجح المحفوظ ومقابله الشاذ، ومع الضعف فالراجح المعروف ومقابله المنكر."

والمقصود هنا مخالفة الثقات، الإكثار من مخالفة الثقات، أما وقوع مخالفة الثقات النادر هذا يحكم على حديثه بالشذوذ لكنه لا ينزل عن درجة الثقات، المقصود بالمخالفة الكثيرة.

8]الجهالة[: ويأتي تفصيله بمبحث مستقل.

9 البدعة[:

الوجه التاسع من أوجه الطعن في الراوي البدعة :والبدعة في الأصل: اختراع الشيء لا على مثال سابق، اختراع الشيء لا على مثال سابق، يقال :ابتدع فلان بدعة يعني ابتدع طريقة لم يسبقه إليها سابق، سواءً كانت هذه الطريقة مذمومة أو ممدوحة، وأكثر ما يستعمل الابتداع عرفاً في الذم، والله –سبحانه وتعالى– بديع السماوات والأرض، يعني هو الخالق والمخترع لهما لا على مثال سابق، فعيل :بمعنى مفعِل، أبدع فهو مبدع.

واصطلاحاً :كل ما أحدث في الدين بعد النبي –عليه الصلاة والسلام–، كل ما أحدث في الدين مما لم يسبق له شرعية من كتاب أو سنة فهو بدعة.

عرفها الشاطبي بأنها :طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية –يعني يتعبد بها مخترعها– يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية، والابتداع شامل لما تخترعه القلوب، وتنطق به الألسنة، وتفعله الجوارح، كما قرره الطرطوشي، يعني الابتداع يكون في الأقوال والعقائد والأفعال.

تقسيم البدع :بعض العلماء قسم البدع إلى قسمين: بدع حسنة، وبدع قبيحة سيئة، قال ابن الأثير" :البدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلال، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله –صلى الله عليه وسلم– فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه ورسوله فهو في حيز المدح "فقسم البدعة إلى ممدوحة ومذمومة، هل يوافق على هذا الكلام؟" ما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه رسوله فهو في حيز المدح "هذا بدعة؟ هذا واقع فيما ندب .... ، في عموم النصوص ليس بقول مخترع.

من القسم الأول وهي البدعة الممدوحة، البدعة الحسنة قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه –في قيام رمضان" :نعمت البدعة هذه، نعمت البدعة هذه "رواه البخاري، فهي بدعة حسنة، ويدل على القسم الثاني :قوله –صلى الله عليه وسلم)) :–كل بدعة ضلالة ((رواه مسلم، قسم البدع العز بن عبد السلام إلى خمسة أقسام :واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة، ثم قال" :والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشرع، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة"، ثم مثل لهذه الأقسام بأمثلة.

لكن الشاطبي –رحمه الله تعالى –لم يرتضِ هذا التقسيم بل رده وقوض دعائمه في الاعتصام حيث يقول" :هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة."

يقول العز بن عبد السلام" :فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة "والشاطبي يقول" :إذ لو كان هناك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة"، كيف نسميها بدعة وفي قواعد الشرع وعموماته ما يدل على وجوبها؟" ولو كان العمل داخلاً في عموم المأمور به أو المخير فيه فالجمع بين كون تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين "كلام صحيح.

يعني كيف نقول بدعة واجبة بدعة مستحبة؟ من الذي أوجبها؟ إذا قلنا :بدعة واجبة من الذي أوجبها؟ إن كان الذي أوجبها الشارع ولو بالعموم يعني يشملها عموم نصوص فليست ببدعة، سبق لها شرعية من الشرع، فليست ببدعة، فإذا قلنا :إن هذه بدعة واجبة جمع بين متناقضين، إذاً كيف نجيب عن قول عمر في صلاة التراويح" :نعمت البدعة "سماها بدعة ومدحها فدل على أن من البدع ما يمدح، كيف نجيب؟ نعم؟

طالب. . . . . :.

طيب، هو سماها بدعة.

بدعة لغوية، البدعة في اللغة :ما عمل على غير مثال سابق، ما عمل على غير مثال سابق، هذه عملت على غير مثال سابق؟ أو عملت على مثال سبق من فعل النبي –عليه الصلاة والسلام– في ليلتين أو ثلاثة؟ وكونه عدل عنها لا رغبة عنها ونسخاً لها وإنما خشية أن تفرض.

إذا عُلم هذا فالمبتدع في اصطلاح المحدثين كما قال السخاوي –وهو مأخوذ من تعريف الحافظ للبدعة" :–من اعتقد ما أحدث في الدين بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– بنوع شبهة لا بمعاندة"، وحكم رواية المبتدع سيأتي الحديث عنه حيث ذكره الحافظ –رحمه الله تعالى.–

10 [الوجه العاشر]

من أوجه الطعن في الراوي سوء الحفظ :

والحفظ يطلق على الحراسة والاستظهار، يقال :حفظت الشيء حفظاً أي حرسته، وحفظته بمعنى استظهرته وهو التعاهد وقلة الغفلة، والتحفظ قلة الغفلة في الكلام، والتيقظ من السقطة، ورجل حافظ، وقوم حفاظ وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا، وقل ما ينسون شيئاً يعونه، ويطلق الحفظ على هيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، ويطلق الحفظ على هيئة النفس التي بها يثبت ما يؤدي إليه الفهم، يعني الحفظ يطلق على الغريزة الحافظة، كما يطلق على ضبط الشيء في النفس، ويضاده النسيان ثم هو أيضاً يستعمل في كل تفقد وتعهد ورعاية، كل هذا يقال له :حفظ، حفظ الأمانة حفظ، حفظ المتاع حفظ، حفظ المحفوظ في الصدر حفظ، والمراد به هنا ما يقابل النسيان، وهو ضبط الشيء في النفس، وسوء الحفظ قلته ورداءته.

لا شك أن الناس يتفاوتون في هذه الملكة التي هي ملكة الحفظ، يتباينون تبايناً كبيراً، فمن الناس من رزقه الله تميز في هذه الجهة فيحفظ الكلام لأول مرة، ومنهم من يحفظ من مرتين، ومنهم من يحفظ بثلاث، ومنهم من يحفظ لخمس، ومنهم من يحفظ لعشر، ومنهم من لا يحفظ ولا لمائة، لا شك أن الناس يتفاوتون، يوجد في السلف من يحفظ الكلام الكثير بمجرد سماعه، بل وجد منهم من يدخل أصبعيه في أذنيه إذا دخل السوق لئلا يحفظ كل ما يقال من خير وشر، الشعبي –رحمه الله تعالى– عرف عنه قوة الحفظ، كثير من السلف يحفظون، ووجد من يحفظ القضايا بلغاتها.

اختصم رجلان من العجم بلغتهما فطلبت البينة، طلب القاضي البينة، قالوا :ما عندنا بينة إلا شخص عربي ما ندري .. ، ما يفهم ويش إحنا نقول؟ فجيء بهذا العربي فسئل ماذا حصل؟ فذكر كل ما حصل حفظ، هو ما يدري إيش معناه؟ قال :هذا قال كذا ثم رد عليه هذا بكذا، وهذاك قال كذا ثم رد عليه .. ، حفظ،{ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء}] {٤ (سورة الجمعة] يوجد في بعض تراجم الناس في كتب التراجم يقول" :ومن فضل محفوظاته كتاب الأغاني"، هذا تكميل هذا، يعني حفظ المهمات كلها وما بقي عليه إلا الأغاني فحفظه، مطبوع في أربعة وعشرين مجلد كبار، نعم، وبعض الناس يكرر الفاتحة عشرات بل مئات ولا يستطيع أن

يحفظ، فيقال له :اذكر الله بدل الفاتحة، أكثر من الذكر يوجه إلى هذا، وبعض الناس يعاني من ضعف الحافظة، كم من مسلم يتمنى أن لو حفظ القرآن ولا يتيسر له ذلك، إما بسببه وانشغاله وعدم اكتراثه واهتمامه، أو بتركيبه حيث جعل الله حافظة من الضعف بحيث لا يستطيع أن يحفظ ما يريد، والناس يتفاوتون، والحفظ نعمة من نعم الله –عز وجل– على العبد، ضريبتها شكرها، شكر هذه النعمة، وألا تستعمل إلا فيما يرضي الله –عز وجل–، بعض الناس يعرض عن النعم، مثل نعمة الحفظ، لكن إيش همه؟ همه يحفظ ما ذكر في الجرائد، أو ما قيل في الأخبار، ويردده في المجالس، أو يحفظ المقطعات الغنائية، أو غير ذلك مما يضره ولا ينفعه، والله المستعان.

أقول :هذه نعمة ينبغي أن تصرف فيما خلقت له هذه النعمة، كسائر النعم شكراً للمنعم، واعترافاً بفضل ذي الفضل، يوجد الآن –ولله الحمد– من يتجه إلى الحفظ، كان الناس يظنون أن حفظ الكتب الكبيرة أساطير ما يمكن، يعني حينما تذكر في تراجم أهل العلم يظنونها من باب المبالغة، يحفظ الكتب الستة ما هو بصحيح! لكن الناس أعداء لما يجهلون، هذا ينظر في محيطه، كنا إلى عهد قريب من ينتسب إلى العلم تجد أعظم ما يطمح إليه حفظ القرآن مع البلوغ والزاد وما أشبه ذلك على هذه المتون الصغيرة، وهذا فيه خير كثير، لكن الناس لما جربوا حفظ الكتب حفظوا، وجد أن الأمة ما زالت بخير ولله الحمد.

المقصود أن هذه الملكة نعمة وهي تزيد بالتمرين، قابلة للزيادة فلا يأس، كما أنها تضعف بالإهمال، يعني شخص أهمل الحافظة سنين، ثم يريد أن يحفظ نعم بالتدريج تعود وبالتمرين تزيد، وإن كان الأصل أن قوي الحافظة قوي الحافظة، ضعيف الحافظة ضعيف، لكن هذا بإهماله تضعف حافظته، وذاك بمثابرته تزيد حافظته، فأهل العلم يذكرون طرق للحفظ فيذكرون الظروف المناسبة والأوقات المناسبة للحفظ، فيجعلون أول النهار أنسب وقت للحفظ، يعني إذا أخذ القدر الكافي من النوم واستجم ذهنه وفكره، فإنه أكثر استعداداً للحفظ من آخره بعد مزاولة الأعمال، المكان الضيق للحفظ أنسب من المكان الفسيح الواسع، الترديد والتعاهد مع الفهم يعين على الحفظ، فهم الكلام المراد حفظه يعين على الحفظ.

السلف كانوا يأخذون العلم بالتدريج، فيقرءون عشر آيات ويفهمونها ويحفظونها ولا يتجاوزونها إلى غيرها حتى يعرفوا ما فيها من علم وعمل، وذكروا في آداب المتعلم أن الإنسان إذا أراد أن يحفظ يحدد القدر الذي يغلب على ظنه أن حافظته تسعفه في حفظه، فلنقل مثلاً :خمس آيات، عشر آيات، ثم يردد هذه العشر آيات حتى يحفظها في اليوم الأول، ويجزم أنه ضبطها وأتقنها، من الغد يراجع ما حفظه بالأمس خمس مرات، ثم يحفظ

نصيب اليوم حتى يجزم بأنه ضبطه وأتقنه، في اليوم الثالث يقرأ نصيب اليوم الأول أربع مرات، ونصيب اليوم الثاني بالأمس خمس مرات، ثم يأتي إلى وظيفة اليوم حتى يضبطها ويتقنها، وفي اليوم الرابع يأتي إلى نصيب اليوم الأول يراجعه ثلاث مرات، ونصيب اليوم الثاني أربع مرات، ونصيب اليوم الثالث خمس مرات، ثم بعد ذلك يأتي إلى نصيب يومه وهكذا، حتى في اليوم الخامس ينتهي من نصيب اليوم الأول، ما يراجعه خلاص ما يحتاج إلى مراجعة، في اليوم السادس نصيب اليوم الثاني ما يحتاج إلى مراجعة، في اليوم السابع نصيب .. وهكذا، يقولون :بهذه الطريقة يثبت الحفظ، وليبدأ طالب العلم بالأهم.

بالمهم المهم ابدأ لتدركه ... وقدم النص والآراء فاتهمِ

لا بد من البداءة بالمهم؛ لئلا يضيع الوقت وأنت ما حصلت شيء، فلتكن البداءة بكتاب الله –عز وجل–، وسنة رسوله –عليه الصلاة والسلام–، وما يعين على فهم هذين المصدرين.

الناس قاطبة يقررون أن الصغير أقوى في الحفظ من الكبير، وأن الحافظة تضعف كغيرها من القوى، البصر يضعف، السمع يضعف، جميع الجوارح تضعف ومنها الحافظة، والناس كلهم على هذا، والواقع يشهد له، الصغير يحفظ بسرعة، إذا كبر قليلاً ضعف، إذا كبر، إذا كبر .. إلى آخره، إلى أن تكثر مشاغله فلا يكاد يحفظ شيئاً، ثم يبدأ بعد ذلك بنسيان ما حفظ، يبدأ عاد بالمحو والإزالة.

الماوردي في أدب الدنيا والدين يقرر أن الحافظة لا تتغير، الحافظة عند الكبير والصغير لا تتغير واحدة، حافظة الإنسان هي هي من يولد إلى أن يموت، إلا إذا طرأ عليه خرف أو اختلاط أو ما أشبه ذلك، يقول" :ليست الحافظة هي التي تتغير، إنما الظروف هي التي تتغير "شخص همه نفسه فقط، ليست لديه أي التزامات، لا شك أنه يحفظ أكثر من الشخص الذي كثرت مشاغله، والشخص في أول العمر مشاغله أقل بكثير من مشاغله في منتصف عمره، أو في آخره.

مدرس المادة
أ.د. مهند عبد الستار جميل الزبيدي
التدريسي في قسم الحديث وعلومه
كلية العلوم الاسلامية / جامعة تكريت
2024/4/30